
رواية
ذيميتريس ذيميتريانيس
أموت كوطن
ترجمها عن اليونانية خالد رؤوف
Jidar
Culture & Publishing

أموت كوطن

الكتاب: **أموت كوطن**

المؤلف: ذيميتريس ذيميترياذيس

رواية

ترجمها عن اليونانية: خالد رؤوف

العنوان الأصلي للكتاب والمؤلف والناشر باللغة اليونانية لأول طبعة

Πεθαίνω σαν χώρα

Δημήτρης Δημητριάδης

(Αγρα 1980)

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الثانية 2025

الطبعة الأولى 2015 | المركز القومي للترجمة: القاهرة

الترقيم الدولي:**978-1-326-38623-8**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

جميع الحقوق محفوظة © 2024

لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر، استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، أو تسجيلها أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها.

To Die as a Homeland

Author: Dimitris Dimitriadis

Novel

Original Title and Publisher: Πεθαίνω σαν χώρα (Αγρα 1980)

Translation from Greek to Arabic by: Khaled Raouf

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

.Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions

Copyright © 2024 all rights reserved.

ISBN: **978-1-326-38623-8**

ذيميتريس ذيميترياذيس

أموت كوطن

رواية

ترجمة خالد رؤوف

مقدمة المترجم

أي كتاب على قدر ما من الأهمية؛ يجب معاودة قراءته فوراً

آرثر شوبنهاور

منذ أن قرأت هذا النص للمرّة الأولى؛ قبل عشر سنوات تقريباً، ولم يمر يومٌ دون أن تخطر بذهني إحدى الجمل أو الصور التي نسجها الكاتب. هذا الكتاب - قليل الصفحات - صار رفيق سفري، ولسنوات عديدة، قرأته مراراً وتكراراً وفي كل مرة أنتهي عند آخر جملة فيه (أموت كوطن) تنتابني رغبة جامحة في حتمية وصول هذا النص إلى القارئ العربي؛ أيّ أنه لا بدّ من ترجمة هذا العمل إلى اللغة العربية.

قبل أن أشرع في الترجمة؛ كنتُ كلما أمسكت بهذا الكتاب أدور بين سطوره، فيما تدق ألفاظ النص العربي وحروفه في رأسي، وما إن باشرتُ ترجمته حتى أنجزتهُ في عشرة أيام فقط، ثم تركته لفترة – كما هي عادتي – قبل أن أبدأ في مراجعته وتدقيقه، وهي عادة تتيح لي حمايةً وتشعرني بالإنصاف للنصّ الأصليّ دون التورط في عدم الحياد.

عندما قابلت الكاتب ذ. ذيميترياذيس في الإسكندرية قادماً لحضور مؤتمر عن شاعر الإسكندرية العظيم قسطنطين كفافيس من القاهرة بعد تكريمه في مهرجان كفافيس عن أعماله الشعرية؛ عبرت له عن رغبتي في ترجمة هذا العمل تحديداً كما أبديتُ له رأيي

في أهمية وصول هذا العمل إلى القارئ العربي فإذا بالكاتب يعبر عن إندهاشه من عرض كهذا، وعن قلقه إذا كان يمكن أصلاً لهكذا عملٍ أن ينشر أو يترجم أو حتى أن يصل إلى بلادنا.

جلسنا بعدها لساعات نتجاذب أطراف الحديث عن الوضع الثقافي المصري والعربي واليوناني وعن المثقفين العرب واليونانيين ودورهم. ثم شرعنا نتحدث عن العمل نفسه فتحدثت طويلاً وبإسهاب عن العمل وتفاصيله وفكرته؛ فإذا بالكاتب يقاطعني قائلاً فهمت من كلامك أن الشباب المصري والعربي وكذلك المثقفين يحملون وعياً لم أكن أتوقعه! لكن هذا فعلاً ما لفت انتباهي منذ أن جئت إلى مصر، وبالطبع سيشرفني أن تصل كلماتي المتواضعة إليكم. ولم أفصح له عن أنني قد أنجزتُ ترجمة العمل حقًّا، إذ أنه بعد هذا اللقاء الثري كان لابد عليّ أن أعيد النظر في كل شيء، ولا سيما فيما تُرجم بالفعل. وقد كان.. إذا أنّ ترجمة هذا الكتاب صغير الحجم، والذي أزعم بأنه من أهم ما كتب في أوربا في العقود الأخيرة، قد استغرقت مني عشرة أيام كما أسلفتُ (من اللطيف أن الكاتب قد أخبرني أنه قد كتب النص في عشرة أيام أيضاً) فيما مراجعة النص وتدقيقه قد استمرت إلى قُرابة عامين؛ فقد كنت أشعر بأهمية وخطورة ما أنا بصدد تقديمه، وفي نفس الوقت على ثقة تامة من ضرورة وصول هذا النص إلى القارئ العربي على أدق وأتم شكل ممكن؛ مراعياً بالطبع عنصرين هامين في عملية الترجمة أؤمن بهما تماماً: أولاً؛ هو أن المترجم هو مجرد وسيط أمين لكل ما يحمله النص الأصلي. ثانياً: أن تكون النسخة المترجم إليها (النسخة العربية) هي صورة طبق الأصل من أفكار الكاتب وأسلوبه في نسخته

الأصــلية (باللغة الأصــلية) وهو أمر إذا ما تحقق فســيخلق نفس متعة القراءة للقارئ سواء باللغة الأصلية أو باللغة المترجم إليها.

يعتبر الكثير من النقاد بأن ذيميتريس ذيميترياذيس من أهم الكتاب في اليونان، وأجدني متفقاً معهم في هذا الشـأن، وربما كان أخص ما يميزه هو تلك الأســلوبية والبراعة على المســتوى اللغوي، فهو يرتع بحرفية ومهارة ورشاقة في كل مستويات اللغة اليونانية أو (قماشتها) كما يحلو للبعض هذه التســمية، إنّه يســتخدم ويتلاعب بألفاظ اللغة كيفما شــاء، اللغة الراقية تارة والشــعرية والرمزية والمجازية أخرى، بل والســوقية ثالثة، ولا يُشــعرك كقارئ بأي غربة أو غرابة تجاه هذه الألفاظ حيث يأتي كل لفظ في موضـعه تماماً، ويتنقل بها وبينها بذات الحرفية والرشاقة أيضاً.

يســتخدم ذيميتريس ذيميترياذيس تعرية الألفاظ وبلاغتها ليصــف الانهيار والنهاية التاريخية الحتمية ويخرج من بين طياتها ببداية جديدة، كذلك نجده يغوص في أعماق النفس البشـرية ويســتخرج منها أشــرس ما فيها؛ فهو يعري الألفاظ ويجرد المعاني ثم يكســوها مصـوراً أبشـع مافي بني البشـر وما في الوطن: الذي هو البشـر ذاتهم، وتحضـرني هنا مقولة لـــ (نيتشــه) "إن أبشــع ما في الإنســانية هو الإنسان نفسه".

لقد كتبت ونشــرت الكثير من المقالات والعديد من الدراســات النقدية منذ أن ظهر هذا العمل كمســوّدة في نهاية الســبعينيات، ومع كل مرة يعاد نشـره فيها. وســأجتهدُ في نقل بعض المقتطفات من

واحـدةٍ من أهم الـدراســـات النقـديـة حول أعمـال الكـاتـب ذ. ذيميترياذيس قـامت بها (جينا بوليتي):

يقول (فالتر بنيامين) إن "شـيطان التاريخ" ـــ (يكتب وهو يولي وجهه شـطر الماضـي، حيث نرى نحن سـلسـلة من الأحداث بينما هو يرى كارثة فريدة تكوم أطلالاً فوق أطلال وتقذف بها تحت أقدامنا). هذه الكارثة الفريدة المتفردة تعرض تصـــوراً وإدراكاً آخر للتاريخ مغايراً تماماً لذلك الذي يريد للمؤرخ أن يســتقي معلوماته من تلك العبارة الداعرة (يحكى أن) في بيت البغاء المســمى بـــ (نظرية التاريخ). هذا المفهوم الآخر يُعنى ويتأمل الزمن في المكان كنصـــب تذكاري حوله شـكل دائري متكامل، حيث إن النظرة التاريخية بدلاً من أن تتحرك نحو الأمام تتأمل حاضراً مكثفاً هو جسد التاريخ الدموي بينما يبرز من هوة كارثية صـــدع الهاوية؛ ذاك الذي يبطل الإحســـاس الكاذب بالإستمرار.

علاقة الزمان بالمكان كما تصـــورتها (جوليا كريســـتيفا) هي علاقة تزاوجية أشبه بحالة الحمل كذروة للإيقاع البيولوجي كما هو الحال في الطبيعـة، ولكن كمـا هو الحـال في أســـطورة كرونوس (الزمـان) الذي غطى الكون ففصـــل الأرض (الأم) عن الأب (الســماء). في هذه الحـالـة، الروايـة التـاريخيـة ليســـت مجرد إنعكاس لســـلســـلـة من الأحـداث التـاريخيـة أو للوقـائع عبر الســـنين، لكن كقول أو كفكرة تتفاعل تثير وتســـتثار وتنفجر، تنبض وتســـتصـــرخ جراح التـاريخ الذاتية والنفسـية. بلاغة النص تمثل سـلطة اللغة الرمزية التي تتيح

- في منتصف القصة – الفرصة لظهور قوى الشوق والرغبة والأمل وصور كثيرة من خيال فياض بشكل غير معتاد.

يقترح علينا ذيميترياذيس في (أموت كوطن) علاقة باثولوجية بين التاريخ والرواية، علاقة من شأنها أن تهدم ليس فقط النسق المعتاد أو النموذج الكلاسيكي للرواية التاريخية، ولكن كل النظم والشفرات التاريخية الإجتماعية التي كانت وما زال يتم إنتاجها. في (أموت كوطن) يمكن أن نسمع صدى لهمس كل النصوص القديمة؛ الأدبية منها والتاريخية.

مع أول مسودة نشرت للرواية كتب الناقد الكبير ذ. ن. مارونيتيس: أن (الرحم) (الممثل لسطح الأرض) في اليونان القديمة.. وأن الكاتب يستدعي الحروب الأهلية اليونانية في العصر الحديث وفي العصر القديم (حروب البوليبونيسوس) كما يلحظ مارونيتيس ملامح أدبية من الدراما الإغريقية القديمة وملامح من قصيدة (في إنتظار البرابرة) للشاعر اليوناني السكندري قسطنطين كفافيس، كل هذه ملامح تنتشر في نسيج النص والسرد. بداية المأساة وبداية الرواية.. عندما يتلاقى كل من خراب البلاد واضمحلالها مع عقم النساء. ففي كلا الحالتين نجدُ بأنّ المسؤول عن الكارثة هو السلطة العليا التي انتهكت كل الحرمات.

في دراسة أخرى، يربط (سافاس ميخائيل) بين ذيونيسيوس سولوموس (أحد أكبر شعراء اليونان في القرن التاسع عشر، والنشيد الوطني اليوناني من أشعاره) وبين ذيميترياذيس، أي بين قصيدة (سيدة ذاكينثوس) للشاعر الكبير، وبين (أموت كوطن)

لذيميتريس ذيميترياذيس. فراهب النبوؤة عند سولوموس تنقطع عنه الرؤية وتنقطع عنه النبوؤة وعن هذا الانقطاع يحدثنا الشاعر، حيث لم يكن انقطاعاً محدداً، بل أبدياً، فإذا بذيميترياذيس يطلق البرق والرعد والشهب والكوارث والدمار بشكل كامل في (أموت كوطن) وكأن قصة هذا الوطن ترسم سهماً واصلاً بين الكابوسين، كابوس البداية (سيدة ذاكينثوس) وكابوس النهاية (أموت كوطن). فتنبأ سولوموس بكابوس البداية في القرن التاسع عشر/ قصة الدمار، الدمار الحتمي، النزيف الداخلي والتعب والإنهاك بعد الثورة المهزومة التي انتهت إلى غير رجعة دون أن تكتمل.

فيقول سولوموس:
أين ذهب الوطن؟
إين ذهبت الأشغال؟
وأيضاً:
هل رأيتهم ينتفون ريش الدجاجة فينتثر الريش في الهواء؟
- هذا مايفعلونه في الوطن....

في أموت كوطن، (كابوس النهاية)، نهاية هذه الدائرة التاريخية التي حملها القرن الماضي. سولوموس يتنبأ وذيميترياذيس يعلن نهاية الوطن (كإحتمال تاريخي).

يمكن أن نعدد نهايات عديدة لما يرويه الكاتب لكن تكرار النهايات في حد ذاته يَعد دوماً ببداية جديدة، بعودة أخرى، بشوق لبداية طازجة لكنها تبدو دائماً في خضم الدمار والإنهيار مُهددة ومُهدَدَة... تحمل نهايات اليأس دوماً الكثير من التهكم.

إذا كانت الرواية هي فلسفة تم تصويرها كما يقول (ألبير كامو) فإن روايتنا هذه خير تجسيد لتلك المقولة. إننا إزاء نص ذي فلسفة عميقة ينقلها الكاتب الذي يتضح تماماً في كل ما قرأته له مدى ثقافته العميقة والمتنوعة مما دفعني إلى قراءة أغلب أعماله وقراءة ما كتب عنه وعن تلك الأعمال، بل ودراستها قدر الإمكان وأستطيع أن أقول إننا بصدد التعرف إلى كاتب مغاير استطاع من خلال كتاباته ونصوصه الشعرية والأدبية (الروائية منها والمسرحية) ان يحدث فزعة وفارقا في الأوساط الأدبية الغربية.

ربما نحن بصدد شكل جديد في السرد أو في الرواية، يهدم الكثير من الكلاسيكية التي لا يخلو منها نص كهذا، ينسج الكاتب الكابوس المدمر والكارثي ويخفي كل معالم الخلاص والشفاء والأمل لذلك الكائن، لذلك الـ (وطن).

حريٌّ بي أن أذكر أن هذا العمل الذي بين يدي القارئ (أموت كوطن) قد تمت مسرحته منذ سنوات في فرنسا واليونان وبلاد أوربية أخرى، عندما تم إنتاج هذا العمل في فرنسا بشكله المسرحي شارك فيه ما يقرب من ثلاثة آلاف ممثل وممثلة والحال نفسه في اليونان (العمل لا يحمل أبطالاً ولا شخوصاً قيادية بالمناسبة). لكن يخبرنا هذا النص الحقيقة عن بطله أو عن حقيقة بطله؛ كما يقول (فرانتيس كافكا): "إن الكتابة هي إنفتاح جرح ما". كما يقول أيضاً: "يجب أن يكون الكتاب فأساً للبحر المتجمد فينا". وهذا مايفعله ذيميترياذيس في كتابه (أموت كوطن).

أذكر أنني أثناء مراجعتي للترجمة عرضتها على بعض الأصدقاء اللذين أثق في آرائهم وحياديتهم وهو أمر اعتدتُ عليه، كان من بينهم الصديق (خ.ع) والذي هالته بعض المقاطع في الرواية فاقتبس مقطعاً وعرضه على بعض الأصدقاء والكتاب والمثقفين من العالم العربي من مشرقه إلى مغربه، ووضع عنواناً للمقطع يقول فيه:

(من يستطع أن يعرف من هو كاتب هذا الكلام فله مني جائزة...) وإذا بكل الإجابات تأتي صاعقة؛ إذ راح الجميع ينسب الكاتب إلى بلده ويقول إنه يتحدث عن وطني!

هذا ماصنعه كاتب النص، فالنص الذي كتب باللغة اليونانية لا يتحدث عن اليونان، ولكنه يتحدث عن الإنسانية، لا يرمي إلى البلاد كأرض وحدود لكنه يرمي إلى الأوطان كبشر، لا يرمي إلى البشر كسكان للبلاد، لكنه يرمي إلى البشر كوطن.

أموت كوطن... القرون الوسطى للرحم، للخصوبة، للخلق، للإبداع، للمستقبل... للحياة. هو عمل بمثابة (كابوس النهاية)، نهاية حقبة تاريخية بكل ما تنطوي عليه من وحشية عصرنا وماضينا القريب والبعيد. رؤية كرنفالية كاشفة، بما يحمل الكرنفال من انفجار شعبي للبسطاء والمهمشين. أرى أن الأدب والفنون بشكل عام إذا مانجحت في أن تجعل المتلقي يطرح التساؤلات متورطاً في ذاته فإن العملية الإبداعية قد أتت ثمارها. وأزعم أن هذا الكتاب أو هذا النص غير المعتاد الذي بين يدي القارئ يحقق هذا. حيث ينطبق

عليـه قـول (برتراند راســـل): "ثمّـة دافعـان لقراءة كتـاب مـا: الأول الاستمتاع به، والثاني التباهي بقراءته".

أخيرًا؛ كنت قد طلبت من الكاتب أن يكتب شـــيئاً أســـتعين به في المقدمة، فيما لو أراد أن يتوجه بكلمة ما للقارئ العربي، فتحمس للفكرة، وأرسل إلي بالسطور التالية التي أضعها كما هي بين أياديكم.

المترجم

خالد رؤوف

«أريد أن أعيش.. »

المرأة التي تتحدث في المونولوج الأخير الذي يختتم به (أموت كوطن) هي في واقع الأمر تنطق بلســـان حال كل هؤلاء الذين وقعوا تحت طائلة الحرمان من العشـق (الحب) بمعناه الأوسـع كاحتياج بشـري جوهري من وإلى الإنسـان وأيضاً كطاقة خلاقة تُنتج بدورها الحياة، الفن والعالم كذلك.

في هذ اللحظة، في بقاع متعددة في العالم، يوجد أشــخاص، بل وشـعوب في هذا الوضـع تماماً: شـعوب قطعت شـوطاً تاريخياً كبيراً وطريقاً طويلاً في الزمن وانتهوا إلى نهاية خانقة وطريق مســـدود بلا مخرج على المســـتويين الفردي والجمعي، وهـذا نتيجـة لإنتهـاء صـــلاحيات كل تلك القيم والمعاني التي كانت تغذي شـــعوباً كاملة لقرون والتي يتضـح جلياً للقاصـي والداني فشـلها وعجزها تماماً في أن تمد الحياة والإبداع بما يلزم من غذاء.

شـــعوب وأشــخاص في قارات كوكبنا هذا خرجوا ثائرين مطالبين بمخرج لطريق مسدود بحثاً عن مخرج من هذا الطريق الذي لم يعد يســـمح لحياتهم أن تصـــبح مُعاشـــة، خرجوا مطالبين بدخولهم إلى رحلة قادمة في التاريخ حيث تكون إرادتهم العنيدة الصـــلبة أداة لا لكي يحصـــلوا على حقوقهم في حياة كريمة ومحتملة فحســـب، بل ومنفتحة أيضـــاً اجتماعياً واقتصـــادياً، ليس فقط على مســـتوى العيش الكريم لكن في كل الأحوال حياة خصـــبة وخلاقة على كل مستويات المعنى والتعبير الوجودي، جسد وشعور وروح، بمعنى أنه

عندما تستقيم الحياة وتعمل على كل هذه المستويات بكفاءة تامة، ترسخ العلاقات الإنسانية، تميل نحو الحب بالمعنى العميق والأوسع لكلمة الحب.

في اليونان، كما هو الحال في البلاد العربية، اختنق البشر من الطريق الذي آلت إليه القضايا الإنسانية على الرغم من أن ردود أفعالهم لم تكن مشابهة في هذا الصدد، لكن ثمة اتصال بينهم ألا وهو: استنتاج حقيقة ملموسة وواعية وليست نظرية أو إدراكًا عامًّا ، إن كل ما يتوق إليه هؤلاء البشر هو أن يتملكوا نواصي أمورهم ويديروها بشكل مختلف عمّا سبق لأنهم قد قرروا أنه لم يعد لديهم المقدرة على تحمل - ولو للحظات أخرى - ذلك الوضع ولا تلك الأنظمة، لذا أضحى الأمر بالنسبة إليهم طارئاً، لازماً وحتمياً، إذا أنه أصبح مسأله حياة أو موت مما لا يدع مجالاً للتأجيل أو المماطلة. الآن أو أبداً.

الوطن في (أموت كوطن) يموت لأنه يحارب لألف عام ذاته: جيش العدو الذي يحاصره ليس إلا هو الوطن نفسه الذي يحاصر نفسه، وفي ذات الوقت يرفض الوطن حصار العدو وأن يرضخ له، وهذا الرفض البالغ من العمر ألف عام أدى إلى الذبول والضعف والعقم وتدمير الخصوبة وإلى موت الخلق والإبداع.

فقط كان قبول نفسه الأخرى كافياً أن يجعل الوطن قادراً أن يجدد مساحته الخصبة مجدداً حتى ولو كان هذا في مقابل تغيير جذري والاستغناء أو خسارة وجهه القديم وتحويله إلى شيء آخر جديد. هذا الشيء الآخر في حد ذاته هو المطلب الأعمق، حتى لو كان هذا

المطلب أو الخيار يؤدي إلى بداية جديدة من نقطة الصفر كمحطة للانطلاق. فلم يحدث في التاريخ شيء مماثل قط دون أن يُدفع فيه ثمن باهظ. مع دخول العدو إلى البلاد (الوطن) يتعرف الوطن على احتلال القيم الغريبة واستقبال موته على يد ذاته أيضاً، ذاته الأخرى التي يحملها بداخله مثل جنين في أحشاء امرأة يحمل قوى حيوية جديدة جوهرية ومحورية، بمعنى آخر، يحمل كل تلك الأشياء التي تجعله يحيا ثانية.

بكل ماسبق، أود أن أؤكد على معنى أساسي بالنسبة إلي على الأقل، في هذا النص المطلب الرئيسي والجوهري للجميع هو الحياة، وترجمته إلى العربية تعطي بعداً آخر ومعنى آخر لهذا النص، تجعله أكثر حداثة وأكثر معاصرة لإنفجار شعبي ضخم تخطى كل الحواجز العقيمة والمبتذلة لماضٍ مدمر، صرخ مطالباً بقوة بمستقبل مغاير يحمل لهم أولوية الحق في حياة كاملة خصبة وكريمة. كلّ مئات الألوف من البشر الذين خرجوا إلى الشوارع والميادين في البلدان العربية بكل شعاراتهم ضد أنظمتهم القمعية الإجرامية هم في واقع الأمر يصرخون نفس صرخة المرأة في المونولوج الأخير الذي يختتم به النص (أموت كوطن):

«أريد أن أعيش.. »

ذيميتريس ذيميترياذيس

9/8 فبراير 2012

(...) في تلك السنة، لم تحمَلْ أي امرأة. واستمر هذا الوضع في السنوات التالية، إلى أن مرَّ جيل كامل دون وافدين جدد إلى العالم. (...) فيما عدا عددًا قليلاً من ردود الأفعال العنيفة على هذه الكارثة المدمرة والتي سُميَّت فيما بعد بالقرون الوسطى للرحم (إضرام الحرائق في المبانى العامة، هدم الآثار والرموز القومية، جرائم قتل ضد شخصيات اعتبرها القاتلون مسؤولة عمّا أصابهم من سوء)، كان الآخرون كلهم، هؤلاء الذين تعلموا الاعتدال، يروضون يأسهم ويحجمونه في أماكن خاصة، وانفجارات ثوراتهم كانت تجعلهم

يشقون وسائدهم بأسنانهم، ويكتبون خطابات مشتتة إلى الرب أو إلى الشر نفسه متوسلين إليه أن يرحل أو مهددين إياه باصطدام مباشر على طريقة القديس يورغيوس، ساعات كاملة واقفين بلا حركة ولا أي تعبير يتمتمون أغنيات قديمة فيها كثير من الحنين، يأكلون بشراهة أظفارهم حتى العظام أويقشطون جروحاً عميقة بالأمواس في أماكن حساسة في الجسد حتى تجري الدماء بالقدر الذي يشبع الحاجة الفطرية إلى التضحية الإنسانية أو تعذيب الذات، دائماً خلف أبواب مغلقة، والضوء مُركز على تلك المنطقة الساخنة بهذه الصورة الرمزية للمذبحة الشرسة، مع نفسِ موسيقى آكلي لحوم البشر في خلفية طقس التطهير هذا، ببقعة الدم اللانهائية دوماً في نفس المكان، هكذا تشكل مع الزمن شيء أشبه بمذبح مقدس في المرحاض، في غرفة النوم أو في المطبخ حيث وجد كل شخص مأوى وشبعاً في تلك الساعات التى لم يعد الجسد فيها يحتمل أن يرفع ثقل ذلك الجسد الآخر، المتعدد الرؤوس والذي لا يرتوي، المقرف والفوضوي والفرديّ، الذي يتخبط داخل كل جسد بنوايا مشينة وقاسية. (...) لأن الحرب، برغم الفواصل والهُدن المضللة، استمرت فوق الألف عام، اتخذت في الشهور الأخيرة تغيرًا نهائيًا - وإن كان منذ زمن طويل لم تعد تكفي «شعارات الحرب والنصر الكاذبة والمزيفة» - وبدت كأنها تتجه نحو نهاية سريعة ووشيكة حيث إنه كان معروفاً للجميع أن الجبهة الجنوبية على وشك الانهيار من يوم إلى آخر. مثل ما يحدث ما بعد الموت، أعراض الركود التي تظهر منذ وقت طويل لا يُحصى، كأعراض مرض مزمن لكنها تظهر فجأة في كل أنحاء جسد الدولة المنهوبة، مرضٌ يفصل لحمها

عن عظامها بهزة واحدة تُشبه طقطقة عضوية لكل مفاصل الإنسان المقيدة. (...) في الصباح عندما انتشر خبر أن اثنين من الجنرالات انتحرا في نفس الوقت، أحدهم كان أمام جنوده في ساعة التفتيش الصباحي، لم يعد أحد يشك في أن جيش الخصوم سيعبر الحدود بين حين وآخر وسيغلق بهذه الطريقة قضية أبقت شعباً كاملا معلقا مذلولاً من تعقيدات تاريخه وأصبح غير قادر على مقاومة نداءات الغريزة اللحوحة واحتقار أي شيء يتواطأ مع إنقاذ الأمة، هذا الشيء الذي وصل بدوره إلى حد إبادة متعمدة للوطن كان هذا يعني بشكل أو بآخر، أن وحدة هذا الوطن منذ تلك اللحظة كانت قد ضاعت بلا ريب. بدأ الكثيرون يجمعون ما يستطيعون حمله وفي غضون ساعات قليلة تشكلت مواكب ضخمة والتي كانت تسير كصفوف نمل عنيدة، نحو الشمال، في جو نزهة نهارية لمدرسة ابتدائية - على امتداد كل الكارافانات حيث كانت تُسمَع الأغاني التي يرددونها، داخل كل هذا الارتباك العام، الجميع معًا، ترى الكثير منهم يرقصون بنشوة في منتصف الشارع وعلى وجوههم ارتسم تعبير الإنسان الذي نفض حِملاً ثقيلاً عن صدره (كان معروفًا للجميع ماهية ذلك الحِمل الثقيل). كان يمكن أن يظن أحدٌ أن هذا حدث في غضون لحظة وأخرى (لكن هذه العملية قد استمرت لقرون) ثمة تغيير جذري ونهائي تشكل في النواة العرقية لكل هؤلاء الناس بعد إعلان أن الجبهة الجنوبية قد انهارت، كان التأكيد الذي ختم به رئيس الديموقراطية - بنبرة حادة وهيبة مزيفة (إمبراطور سابق يُظهر بغطرسة مُتقرحة كوخه الحقير المتهدم ويُسميه إمبراطورية بينما آلاف من الكلاب الضالة من كل الأنواع تشدّ بأنيابها عباءته القذرة وتهزُّ راقصة على

النشيد القومي السابق للمملكة التى أضحت الآن بكل وقاحة . مثل أندروماخي* بائسة- تمر من فراش لآخر وتشعر في فرجها القصديري الذي لا يشبع برؤوس القضبان الحديدية لقادة الأرض الجدد)، كان هذا الوضع يُذكّر كل شخص مرة أخرى أن يبقى مؤمنا بإرث الماضي والاحتياج القومي لانقاذ كرامة البلاد على الأقل. كل من سمع الخطاب الرئاسي - حيث إن الكثير من الناس ضغطوا على الزر مغيرين قناة البث- تفوه بأفظع الشتائم نحو الرئيس ونحو خطابه ونحو البلاد، محرضين حتى الأولاد الصغار ليرددوا هذه الشتائم بإيقاع ضاربين كفوفهم بالتصفيق.

عجائز رأين أحداثاً مماثلة لاتعد ولاتحصى : سقوط وهزائم، لجوء، احتلال من كل أنواع البرابرة والمتحضرين، اضطهاد واستعباد، مدن عامرة وغابات مشتعلة وسهول تحترق كالمشاعل ولم يبق شيء على حاله من كدح أجيال وأجيال، البنات تُغتصب في المنازل المهدومة عشرات المرات في ساعة واحدة من جنود مُسرحين وبعدها يشقون بطونهن بالسِنج، مواليد تُقطع رؤوسهم بسيف حاد فتتطاير في الهواء أو يُطلق عليهم الرصاص مباشرة في أحضان أمهاتهم، عائلات تُشرد وتهلك كالطيور بطلقات متتالية، «حينها صار الأطفال أيتاماً، والنساء بلا رجال والصديق بلا أصدقاء وتفرق كل ذي صلة دم أو قرابة بلا رحمة» وصبيان بنصف سنتيمتر من الشعر على صدورهم وقوة رعد زيوس مركزة في أعضائهم التناسلية حيث تتلاقى في تحد قوة اندفاع الأحاسيس، يقف كل خمسين منهم أمام فرق الإعدام الجماعي رمياً بالرصاص فقط كي تختفي بذرة الحياة بداخلهم، ويصبح الماء أحمر مثل الورود من الدماء، وبشر يصيبهم الجنون من

الكوارث التي لاتطاق ويهرولون مسودّين من البكاء إلى هنا وهناك صارخين مثل ابن آوى ممزقين خدودهم في حالة دوار وتشنج من اكتشاف نواة الحياة الفارغة داخل كابوس يتجاوز الحد الذي يجعلها لا تُحتمل كحفنة فحم مشتعلة محشورة داخل الفم، العجائز اللائي لم يكنّ يعرفن حتى أعمارهن تحولن إلى بقايا أطلال مقدسة لقديسي ماقبل التاريخ مجهولة أسماؤهم معلقة فوق السيارات، بدلاً من أن يرفعن أيديهن ويرسمن علامة الصليب على صدورهن وهن يسمعن نداءات رئيس الديمقراطية، بصقن في كفوفهن - كلهن في وقت واحد –وحركن رؤوسهن بإيماءة ذات معنى، إيماءة يفعلها الرجال، الصغار والكبار، باليد اليمنى عندما يريدون أن يُظهروا بدون كلام أن شخصاً امتلأ رأسه بالتخريف. (...) في الوقت نفسه، لم يَعد شيء خفياً، رغم أن الأنباء التى كانت تصل من حين لآخر كانت متضاربة وبالتحديد كانت تحدث دويّ وهدير متبادل بين الحشود، لم تكن تأتي أبدًا بأي ريح من التفاؤل، على العكس، كانت الأماني تقل شيئاً فشيئاً (في هذه اللحظات، لم يكن هناك شيء أكثر غموضاً من كلمة أمنية ولا شيء أكثر إظلاماً من معناها)، رغم هذا عُلم أن الجبهة الشرقية قد انهارت، مما جعل الناس تُعجل تحركاتها نحو الشمال؛ في هذه الفوضى العامة، كانت هذه التحركات في محلها لأنها كانت حركة يأس واضح بميولٍ نحو تدمير الذات وحفظ الذات في وقت واحد حيث أن البلاد كانت محاصرة بالطبع من كل الاتجاهات لكن قمم جبالها الشمالية تُعطي قليلا من الترويح المُزيف لملجأ مجهول، إذ لم يكن هناك أي مخرج نحو البحر، الإحساس بالاختناق والطريق المسدود، الإحساس بالتطويق،

بالغرق، جعل الحشود، وهؤلاء الذين ظلوا في المدن وهؤلاء الذين زحموا كل الممرات والطرق نحو الجبال، يدورون حول أنفسهم حتى توقفوا جميعًا بلا استثناء وانتظروا، كشخص لايأخذه النوم ويحرث في شتى الاتجاهات في الفراش محاولاً أن يتفادى كل أسباب الأرق، ولكن دائما مايستدعي النوم بشكل غير كافٍ، وبتعاويذ تعسة غير فعالة، حتّى يغدو منهكًا، لاهثاً، بزبد المريض بالصرع على فمه وعقله مرفوعًا على موسى بارد في الزبد الأسود لليل، يقف مقيداً بخيط عجزه المعقود، كما لو أن عجزه قد قيده، وحينها يأتي مثل قدر توراتي هذا الذي كان مقدرًا له أن يأتي قبل ذلك، في وقته، لو لم يحاول جاهدًا أن ينقذ الروح في عذاب منتصف ليله قبل أن يجرب حتى النهاية. (...) في تلك اللحظات لم تكن هناك غير أحاسيس عامة. الكل معاً، كروح واحدة، شَعروا أن هناك احتياجا أن يتركوا أنفسهم لشيء سوف يفيض فوقهم وسوف ينقش عليهم علامات لاتمحى، شعروا بالحاجة لتغيير معتقداتهم، ليعبروا إلى بعد آخر، أن يخضعوا لتغيير شامل، أن يرفضوا لغتهم، أن يتدحرجوا في العار، أن يتعروا أمام الجميع ويبدأوا في الكلام ويفعلوا تلك الأشياء التى كانوا من قبل يسمونها مريعة، أن يشموا الجوارب العفنة ويستنشقوها بعمق، أن يقتلوا آباءهم وأمهاتهم، أن يحطموا تذكاراتهم، أن يحرقوا بطاقاتهم الشخصية، أن يعيشوا ماهو أكثر ترويعاً ورعباً من مشهد الحشر، أن يستسلموا للوحشية مع التدفق الروحي لأناس لم يعد أحد منهم يؤمن بشيء مما جمعت وخزنت الحضارة حتى الآن، ولا يحتفظون بأي ثقة في شيء، والشيء الوحيد الذي يستطيعون قوله هو أن كل مايبغونه هو دمار كبير وهم

بداخله، هذا النوع من الشر غير القابل للإصلاح يتكون حين يكون الجسد بعد سنوات كثيرة من المرض الصامت يحتله حدس مزدوج بالموت والذي - حتى الآن- كان يتصرف كمن يحتفظ بسرّ عمل فني، ويرتج داخليا من زلزال لا يوصف ينثر بدوره الحطام الذي كل قطعة منه لا تعنى شيئاً، هكذا تخرج على السطح مياه الجسد المذعورة وظلام تلك الشمس، نور ملكيّ، جوهر سري، جمال مرتبك، الذي في لحظات خراب مشابهة يظهر بهدف وحيد ألا وهو الإسهام في سرعة الاضمحلال، حكم نهائي لا رجعة فيه مستسلم إلى لمعان المرآة الشره الذي لا يكتفي بأثر أحد يتحرك حول حياتنا لأجل غير مسمى كاسرًا من حدة تدفق أشعة الوهم الدافئة التى لاتعد ولاتحصى. كانت كل الأرواح تقف ثابتة بينما كل اتجاهاتها المعاكسة تتبارى في نفس اللحظة؛ وفيها يتعايش «سيل من اللعنات على المسيح والعذراء، الدنيا، وتهديد ووعيد للعالم بأسره» و «تنويعات معاناة الثالوث الكامل، وكل على حدة وبلا تشويش، وطقوس التكفير المرعبة عن الذنوب، وبريق شعاع النور الإلهي»، مما جعل كل التعبيرات والتكشيرات والقسمات تحتشد على الوجوه إلى الحد الذي اختلطت فيه ملامحهم، إلى الحد الذي لو رآهم غيرُ متورّطٍ في أفعالهم هذه، سيقول أن وصول البلاد إلى طريق مسدود كهذا كان في أرواح سكانها أو أن أرواح كل سكانها لم تكن إلا طريق البلاد المسدود. لأن التحول من نقطة تاريخية إلى أخرى كان قد استنفد آخر دوراته. (...) وكما تبصق الروح دماً وتذبل وتستجدي، في ساعات خلاصها، كي يسقونها شيئاً قوياً من أجل أن تنسى عذابها، كى لا تشعر به، أو ليساعدوها أن تَخلُص في ساعة مبكرة حتى يأخذ حزنها نهاية لأن هذه ليست

حياة، هكذا بالضبط كانت تشعر البلاد في داخلها، بحساسية ثاقبة لقضيب محاصِر، أن الجيش الأجنبي قوة قادرة على إنقاذها من الكابوس الذي لم يكن إلا البلاد نفسها، مثل تدخل أطباء عنيف وعاجل فوق جسد يتخبط من الآلام ملقى على ملاءات مشبعة بالدماء مبقعة بإفرازاته ونزيفه اللذين لايصعب إيقافهما، مثل إحساس الاسترضاء المشابه لذلك الذي تشعر به النساء الشبقات أو الذي يشعر به الزاهدون المتصوفون عندما تأتي لحظة اللذة القصوى مع استرخاء حزام النشوة العمياء ولكن يبقى بجوارهم الرجل أو الإله يتطلع مترقباً مستعداً، بعد تلك اللحظة المروعة ليقدم مجدداً قوته الخارقة التي لاتقارن إلا بغياب مفترس. من لم يرَ بشرًا يموتون ضرباً بأيدٍ خفية في الشوارع ليس بوسعه أن يفهم معنى أن وطناً يموت، كما لايستطيع أن يفهم ذلك من لم يشعر بأن جسده مفقود، غير مرغوب، لا أساس له، وحيد، بقوته الحركية المعروفة معزولة ومقطوعة من جذورها عن شعلة العاطفة الصحيحة. ولكن أن تواجه موتاً صريحاً مثل إبادة جماعية لأمة، يتساوى مع استنفاد الحياة ذاتها، حياة النهار طبعاً، لأن الحياة الأخرى، تلك التى تبدأ بشكل غير مُتصَور، لا يمكن تخيله، من رحم الليل الباهر، هذه لا تُستنفد، الموت العميق، هذا الذي يمكن تشبيهه ببريق جمال مفرط لمراهق ناضج في انسياب متصل، داخلياً وخارجياً، بناء لايترك قلب أي إنسان في هدوء، يقود إلى ممارسات يائسة، إعاقة الطرق الحيوية، وتعطيل هياكل المجتمع وصياح وصراخ من نوع: «حاجز البرج الذهبي، مدينة الاثني عشر جدار، العرش المثقوب، المعجزة الغامضة، المصباح الجيري» ويحاولون أن

يقللوا من فتنتهم بالبريق الخلاب، إبريق المن والسلوى، الجمال الذكوري مع التاريخ والسلطة العالمية. (...) كانت الانشقاقات كثيرة من الجهتين اللتين قد انهارتا، وبشكل أبسط كثُرت حالات فرار الجنود من المعركة كي لا ينفقوا قطرة دم واحدة من دمائهم، ولا لحظة واحدة من حياتهم من أجل البلاد، التي وصفوها بالعاهرة تارة وبالساقطة تارة أخرى. والشعار الذي كان سائدًا في كل الصفوف: «ليس فقط المزايدون بالوطنية هم الجبناء، امنحوا الوطن قبلة الموت». رغم ذلك، بعد أول تساؤل، احتجاج، سخط، للشعب المرتبك الذي كان يشعر بابتهاج في هذا الانقلاب الأخلاقي، انهمك الناس في السخرية وبدأت تنتشر الكثير من النكات البذيئة التي كانت تتناول التاريخ كله وكل الأبطال المكرمين لأربعة عشر جيلا بتفاصيلها الذكية و بوصفها الفج تثير ضحكات عميقة.

في هذه الساعات تحقق بالفعل الانتقال من دائرة تاريخية إلى أخرى، بلا رجعة. مع الضحك. هكذا، وكأن الجميع كانوا مستعدين لتلقي نبأ أنه من وقت لآخر ستنسحب الجهتان الأخريان، وكان الفارون من الجيش يصلون من كل البقاع، متسخين، مهلهلين، بلحى عمرها أسابيع، يكادون أن يموتوا جوعاً ومتوحشين، ممصوصين من دود حياة الحرب، معصورين تحت قدم الحرب، وبدون أن يخفوا ما ارتكبوه، على العكس، قالوها وبكل صراحة، قصوا مواقف مختلفة، بتعابير أبطال، وهو شيء مبرر مائة بالمائة، كما كانوا يحكون هراء وتفاهة الجنود، وعن «هؤلاء الذين يستحقون الشنق»، ضباط كثيرون كانوا يراقبون كل هذا ويفرون خفية ليلا.

«آخر بعباءة وغيره بقميص مدني» (بعضهم بالطبع فروا مع أحد جنودهم المقربين)، لكن في الغالب كان لديهم مايقولونه عن التهتك النفسي الذي كان سائدًا منذ زمن في كل الصفوف، عن الجرائم التى كانت ترتكب في وضح النهار من أجل طبق من الطعام أو من أجل بنات من القرى المجاورة، وكأنهن مستأجرات أو عاهرات، كن ينشرن النزاع والغيرة بين الجنود، كن ينكحن الواحد تلو الآخر «ماذنبهن إذا كانت فروجهن لا تشبع» - كان البعض يجد لهن أعذارًا- بينما كل جندي كان يرغب في أنثى واحدة دائمة، حصرية له وحده، كي يمضي معها وقته، حيث أن هذه كانت هى متعته الوحيدة، (هذا غير أن كل واحد منهم كان مشغولا بقضيبه ولا شيء آخر، خزي عفا عليه الزمن، حيث كانت له علاقة بأخلاق العسكرية، لم يضعوا الاستمناء مع المتع الحسية الأولى، والذي كان أحيانا يأخذ شكلاً تراجيدياً وكان يجعل آلاف الأجساد تنتفض تحت الأغطية أو خلف إحدى الأشجار، في دوريات الحراسة، داخل صرخات كانت تجعل الطبيعة ترتعش مما يحبط اتصال الأجساد المرتجفة بالأحاسيس لكن مؤكِدًا القذف داخل مملكة الموت نفسها)، على أية حال كان النيك هو وسيلة الترفيه الوحيدة لديهم كي لا يشعروا بالشهور الطويلة لأيام الجندية العصيبة -التي صارت سنوات الآن- تمر داخل فراغ أشبه بذلك الذي ينتشر داخل جسد الميت والذي في لحظة يبدأ في الطفو على السطح ليبدأ سقوط الجلد بشكل مثير للاشمئزاز، للذكرى، (لأن عالم الموتى عالم الإبهار والغرق المظلم الذي بقدر ألف قامة تحت جريان الماء الفضي، يغلق علينا في بطنه ويمنحنا - في ساعات المتعة الحسية الطاغية المظلمة- الإمكانية

لندبر استعارات، والتي بصفاتها الرمزية البحتة تهدئ من غضب ارتطام الدم الفائر فوق عظامنا العارية المهجورة... ماذا تكون الجنة غير هذا، على الأقل لهؤلاء الذين خضعوا للخدعة ولمغناطيسية المادة عن وعي، رغم عبور الروح المنشود والنادر التحقق من عجز اللغة في مملكة الكلمات النابضة، الأرضية، الكتعاء، غير المنحوتة، الحية؟ ... مملكة السماء هى روح متكلمة جامحة) (...) سوف يحتاج الأمر إلى مجلدات ضخمة لتتسع لأحلام وهذيان كل هؤلاء الجنود الذين فور خروجهم من أوج أزمتهم كانوا يجلسون ويحكون - كل منهم للآخر - الذي مروا به، باشتياق الإنسان الذي يرغب أن يمرر للآخر روح الشيء الذي يثقل روحه هو. من الأشياء الأكثر تواترًا (كانت هناك وحدة من الأحلام والهلاوس) كانت الحالة التي يشعر فيها الجندي بحزامه يصعد فجأة من وسطه إلى عنقه ويخنقه بقوه حيث كاد البعض حقيقة أن يُخنقوا وكانوا يستيقظون مطلقين صرخات مفزعة وهم مطويون على الأرض، «حتى ترحل القطة السوداء من فوقهم». وآخرون بينما كانوا يدخنون، كانوا يشاهدون أيديهم ترتفع بحركة لاتقاوم كأنها تتحرك بقوة جهنمية، وتقترب بثقة الشر القدري على وجوههم وتطفئ السيجارة في أعينهم. حجارة، أخشاب، خيام، أسرّةٍ متحركة، أحذية عسكرية، خوذات، قارورات الماء، قصعات الطعام العسكرية، أسلحة، أجهزة لاسلكية، مصابيح مخصصة للعواصف والضباب، أمواس الحلاقة، خزانات، مجارف، آلات كاتبة، كانت تأخذ شكل حيوانات أليفة لكن مهدِدة على استعداد في كل لحظة أن تهبش وتفترس من كان يشعر في صدره بتهديدها وكان هذا الجيش كله، وخيول بديعة بسروج مغزولة

مزركشة وتاج وعناقيد اللؤلؤ، وفيروز وعيون مقلوعة كانت تتجول ليلاً في دوريات الحراسة ناشرة الرعب بين الجنود الذين كانوا مضطرين أن يطلقوا الرصاص على الأماكن التي كان يقترب منها الجنود الأبرياء. من كانوا يموتون في نومهم، وهكذا ذهب الكثيرون. لم يكونوا قلة هؤلاء الذين انتظروا الليل برعب شديد لأن في لحظة ما، عند منتصف الليل العميق تقريباً، كانت تهيج في عظام جماجمهم موجة صامتة وكانوا يشعرون أن السماء تتجمع كاملة بداخلهم جاعلةً أدمغتهم تنبض بالمجرات والمساحات الشاسعة حيث كان صمتهم المدوّي يضغطهم حتى يطلقوا صرخات غير مفهومة ويتخبطون في فُرشِهم كالمصروعين. (...) أجيال كاملة من الجنود هلكت كلها من نفس الأحلام التي كانت تأتي وتأتي بعنادٍ يائس لقلب عاشق كي يقطرعشقه في قلب آخر مغرور، وكنت ترى جنودًا في سن الصبا يقصون نفس الأحلام التي رآها قبل سنوات كثيرة، ومازال يراها جنود عجائز، مُعمّرين، ذاب اللون الكاكي على أجسادهم وذابوا فيه: كانوا يرون أن قرية بأكملها تطاردهم وهم يركضون ليختبئوا ويركضون وتركض القرية خلفهم وفي كل مرة يمسكون بهم وهم يفرون منهم ويركضون دون أن يركضوا، بقلق رهيب في صدورهم، وفي لحظة مرور مفاجئ لايفلح فيه سوى الرعب، كان يسقط كل القرويون فوقهم ويمزقونهم وكان يأخذ كل واحد قطعة من أجسادهم ويلقون بالعظام إلى الكلاب ويرون بالفعل العظام في أفواه الكلاب وهذه الأفواه مليئة بعظامهم حاولوا الانتفاض مرتعدين في نومهم بضيق في التنفس مع إحساس بتفتت عظامهم في أفواهم؛ أو كأنهم جالسون في فصل مدرسيّ والمدرس

يلقنهم درس التاريخ ممسكاً بسكين كبير بين رجليه، والنافذة قد غطاها جسد تلميذ مشنوق حتى كانت سوائل جسده تسيل من حذائة المتسخ بالطين وفجأة يُفتح الباب وتدخل امرأة فائقة الطول بأثداء متهدلة حتى أسفل أخشاب الأرضية البالية مقتربة من التلاميذ واحدًا واحدًا مقبلة أفواههم بعنف قاطعة بأسنانها الحادة قطعا كبيرة من ألسنتهم كانت بعد ذلك تبصقها وتمسح الدماء بعلم كان مربوطاً على وسطها وعندما انتهت من التقبيل، رجعت للمدرس، كان وجهها حينئذ كالفحم المشتعل، جسدها كان يحترق كالحديد الساخن لكن رائحتها كانت عفنة كالجثة، كانت تأخذ منه السكين الذي يمسكه بين رجليه، وتجعله يركع، وتقطع له رأسه، ومُمسكة إياه من شعره، ترفعه عالية إلى الدرجة التى كان السقف ينهدم وعينا مقطوع الرأس كانتا تصدران شذرًا ثاقباً يضئ الأبصار ، وبعدها كانت تحشر الرأس في فمها وتبدأ في مضغه مرارًا وتكرارًا بطريقة بغيضة لاتطاق. (...) الكثيرون أصابهم الجنون، كثيرون سقطوا في ذبول مزمن جعلهم يزحفون كأرواح مفكّكة بين دبابات صدئة وأخرى خالية من المفرقعات. محاولات الانتحار لم تكن لتتوقف، لم يكن باستطاعة أحد أن يحصيها، بجوار كل معسكر، صغيرًا كان أو كبيرًا، تشكلت مع الوقت مقابر لم تكن شيئاً آخر غير حفرة عميقة كانوا يلقون بداخلها من حين لآخر جثثاً جديدة ويغطونها ببعض جرافات التراب، وهذا فقط لاتقاء شر الطيور الخاطفة، عندما وصل الأمر إلى هذا الحد، كانت هذه الطيور تخطف حتى الأحياء، هؤلاء الموتى الاحياء الذين يمنحهم الموت- فقط - الثلج وشكلاً غير قابل للصرف. (...) الأغلبية قد نسوا ماذا كانوا قبل أن يُجّندوا. البلاد، بخلاف

جيوش الأعداء، كانت محاصرة بخيط قوي غير ملموس وغير قابل للتدمير من أدمغة جنودها المروَعة المضطربة، رؤى أرواح منهكة ومتعبة إلى أبعد الحدود، تنتظر النهاية من جيل لآخر النهاية بفارغ الصبر، وكانوا يبكون من نفاد الصبر، حيث شاهدوا بأعينهم نخاع عظام أرضهم المتعفن. (...) الكلمات بدأت ترحل من ميدان السياسيين والعسكريين الذين لم يعد بمقدرتهم أن يعرفوا كيف يزيفون هذا الواقع الذي أضحى يرعبهم أولاً وينشر في تلك القلوب المتصلبة، القاسية، الوقحة، الجلفة خوفا أبدياً مدمرًا ، (خوفًا) من الوحدة والموت، وكانت تظهر مداخلات رؤساء الوزارة والوزراء الذين لا يخلدون للنوم إلا إذا تأكدوا أن أحد خدامهم يمسك بأيديهم طوال الليل، ويبولون في سراويلهم أثناء اجتماعاتهم الوزارية لأنهم كانوا يشاهدون أمامهم على منضدة الإجتماعات اللامعة جثثهم ممزقة إرباً، مرتديةً عريا فاضحا لعدمية كاملة، أو مداخلات الضباط، وبخاصة أعلى القيادات، الذين لم يعد باستطاعتهم أن يبقوا وحدهم في غرفة خالية، كانوا يرتعدون في الظلام ويفتحون دائما أحاديثاً عن ذلك المسحوق المذاب، كما كانوا يقولون، والذي سوف ينتهي بهم «داخل فراغ أبدي غير قابل للاختزال». (...)

***

(...) في تلك السنة التي لم تَحمل أي امرأة، وكل رجلين من الرجال كانا يقفان في الشارع ويتسكعان على المقاهي ويبصق كل منهما في وجه الآخر وكأنه يبصق على وجهه هو وبعدها يرحلان حاضناً كل منهما الآخر. كان الرجال يتزاوجون فيما بينهم في أقبية مظلمة أو في أماكن الغسيل الدافئة خشية أن تكتشفهم النساء المسعورات بوباء العقم المعشق في أحشائهن - كن يبحثن عنهم في بيوت الدعارة والبارات، وهذا البحث غير المجدي جعلهن أكثر جمالاً، أكثر شهوة، أكثر جاذبية، أكثر أنوثة، أكثر مقدرة على الإغراء بعشق شرس، أكثر نعومة، كن يغلفن حركاتهن المغرية بيأس مرمري كان يُنحت في عقل المشاهد ولا يزول أبدًا، لأنهن بهذا البحث كن يفهمن أنه يوجد نوعان من اليأس أحدهم يؤول لهن حصرياً منذ قرون عديدة - في تلك السنة حدثت أكثر المؤامرات في أعلى درجات الدولة، قطعان من أعضاء البرلمان يرتشون وينتقلون إلى الجبهة السياسية المعارضة فقط من أجل أن يحققوا طموحاتهم الشخصية والعائلية (قالوا أن أحدهم قد قَبِلَ أن يكون وزيرًا فقط من أجل أن يُسعد أمه العجوز التى كانت على مشارف الموت وقد أكلها الذبول وهى ترى أن ابنها أصابته الكهولة وهو لايزال عضوًا في البرلمان)، الوطنيون المتعصبون والقوميون كانوا يُهربون ثروات كاملة إلى خارج البلاد بمساعدة بعض الأنظمة الموالية حيث كان بعضهم يسيطر عليهم بالأموال وعلاقاته بالسلطة، (...) الحكومات تعاقبت واحدة تلو الأخرى بسرعة فائقة وفشل تسلسلي، جرائم وكل أشكال عدم المقدرة التى وصلت لحالة من الفشل الروحي، التابعون الثائرون للقادة السياسيين الموتى أخرجوهم من المقابر ورفعوهم عاليا وهم داخل توابيتهم المتسخة

بالطين، وكانوا يجوبون الشوارع بهم مطالبين بشعارات حادة أن يعيدوهم إلى الحياة السياسية لأنهم كانوا يزعمون أن هؤلاء فقط هم الذين لديهم القدرة على إنقاذ البلاد من الاختفاء التام، (...) خُطَبٌ عصماء كانت تخرج من شرفاتهم وكانت تحث الجموع الواقفة على الزهد في الحياة، أن يتغذوا فقط على البذور وأن يتكاثروا بالنوم مع تماثيل مقطوعة الأطراف، داخل ضجيج عاطفي وفكري أشبه بهؤلاء الذين يحاولون التدخل في الواقع المشتعل حتى يغيرونه جذرياً مطبقين برامج سياسية كانت عبارة عن استنباطات من كل العصور . وهذه الحالات سُميت «ميتافيزيقيات العقائد» وهو ما يُعتبر من أكثر الجرائم همجية مع سبق الإصرار والترصد . (...) وصل تكرار وفجاجة الجرائم إلى حد لا يصدق، أشخاص اختفوا للأبد في غضون ليلة ولم يسمع أحد قط عنهم أي شيء؛ فتحت مقابر جماعية في مناطق نائية عن المدن وفرغت فيها أكوام من الأجساد التى حُصدت في ساعات عَمَى حزبي، شيدت في كل مكان سلطات إعدام تنفيذية ارتجالية كانت تطلق الرصاص باسم الأمن الإقليمي، الاستقلال القومي والازدهار العرقي، (...) وكارايانيس ب. أعدم نيكولائيذيس، أنذريكوبولوس لم يعدم سولومونيذس وإخوته، ذروسوس لم يعدم كيلين، فيرنذينوس لم يعدم جومان، زيكيذيس لم يعدم زميرنوغلوو وأولاده، خاتزيبروذرومو م. لم يعدم ذيليبترو، باغولاتوس لم يعدم فوتياذين وجيلكان و ذيميتريو، فاسيلوبولوس لم يعدم أبوستولوبولون، كوستانتينذيس لم يعدم ماتثيو وإخوته، ميلاس أ. لم يعدم ميلان ذ.، سيميونوغلو لم يعدم ياترو وأولاده، ذوراس ب. و ذوراس ي....، بدأت تتحقق أكثر تنبؤات المتنبئين شؤماً، اختفت من

كل المكتبات محاورات أفلاطون، (...) لم يعُد يُسمع الكمان في أي مكان سري، لم يعد الضوء يمر داخل أي ماكينة سينيماتوغرافية، (...) من الروايات بقيت الحوارات فقط ومن المسرحيات بقيت إرشادات المَشَاهِد، (...) تشخيصات الأطباء كانت تأتي دائماً خاطئة، (...) مقابر كاملة ارتفعت في الهواء كأسراب طيور بلون فوسفوري، الناس هرولوا في كل الاتجاهات في الشوارع يضحكون بلا توقف كما يضحك أحد في نومه، وضوء ألم مستمر وحب غير مستهلك كان يسرح فوق كل الأبنية معطياً لكل المكان شكل وجه عذراء متشنج، تريد أن تعبر حاجز عذريتها لكنها خائفة من الاتصال برجل، تتعرقل، مع الشهوة المتزلزلة الجامحة، قضيب معدني في رحمها يصرخ «يا إلهي، يا إلهي» والرأس متجه نحو السماء كطائر الحجل وتمزج طرفي الحياة في دمها الأسود النفاذ الذي يغلي. لأن أشياءَ كثيرة كانت قد تجمعت في قلوب الناس، بالقدر الذي لم تعد القلوب تقوى على حملها وتحملها بداخلها. قدوم العدو كان يُسرّع ما تم الإعداد له منذ قرون، ويُظهر مجددًا الأمال التي كذَّبها أُولو الأمر مرات يصعب على المرء إحصاؤها. طاقم الزمان قد وصل. بينما قوات العدو غرقت داخل البلاد، حدثت اضطرابات تاريخية أحيت بقوة - بعد قرون من التعطيل- مملكة الخيال المتعددة الجهات التي استولت على عرش الرؤوس مفتتحة دائرة تاريخية جديدة. (...) تم إلغاء القوانيين ببطلانها الذاتي. التشريعات انقلبت وأخذت في تطبيق العكس تماماً. (...) في لحظة واحدة تحقق الحلم، دون أن يُعلَن، لأجيال وأجيال، أي المرور إلى ألفية الفصام الواعي المتنوع (كي يكتمل حديث الرب من خلال السيد النبي قائلاً: هذا هو، أو من أجل صحة المستقبل،

والذي يعني تأويله أن الإنسان وحيد البُعد قد انتهى للأبد). (...) ساد قانون القانطين. بدأ المنزوون والصامتون في التشريع. الكل كان يسمع بورع ديني رأي الذين كانوا من قبل مصنفين في شريحة السلبيين المتطرفين. (...) اختلقت مخالفات جديدة للغرائز، بينما غرائز ماقبل التاريخ لم تعد تشكل أسباباً للازدراء ونُشرت على النصب التذكارية السياسية في الداخل والخارج. (...) تم تقنين الجريمة التى أصبحت محورًا في كل الأحداث العامة والجماهيرية. (...) تضاعفت حالات الحب الشعواء واعترافات وعروض الحب العارية الصاعقة. (...) الكل أُعلن قديساً وأخذ يعبد كل منهم الآخر. الكلمات اكتسبت حدة جديدة ولهذا أخذ الجميع يفكر أي الكلمات يستخدم، لأن بعض الكلمات بإمكانها أن تحرق اللغة تماماً. (...) الكنيسة أصدرت منشورًا ينص على فرض عقوبات صارمة على كل رجل أو امرأة لا يجرؤ على التصريح على الملأ بجنسه العكسي الذي من الطبيعة أو من الإله ويشتمل عليه تكوين كل إنسان مشكلا غموض ازدواج تكوينه، مما أدى مباشرة إلى أن تمتلىء الشوارع برجال يرتدون ملابس نساء زاهية بثقة الهبة الربانية محفورة في داخلهم، كانت تُقبل هبات سامية غير مسبوقة بينما نساء متحررات من اشتهاء الرجل ومنغمسات في بهجة الإنجاب الروحي، كن يطاردن النساء حتى في الكنيسة في ساعة القداس (الأمبروزية، بسبب الهياج المتحرر)، والتي كان يقوم بها قساوسة حالقين مؤخراتهم مرتدين ملابس كهنوتية عنكبوتية، عارين من تحتها (...)، بسهم العذراء على شعورهم ورموز وحشية معلقة على صدورهم، كانت تأخذ شكل الميديا، ميسالينا وفرونخيتي في اللحظة التي كانوا بارتعاش رباني

يباركون فيها الخبز والنبيذ فوق الطاولات المقدسة كان ينتشر طين دموي يحول الطقس الكنسي إلى التقاء نخبوي لهؤلاء الذين كانوا يرون بأعينهم الرب، بفضل شفرات اكتشافه الجديدة.

(...) صلاة: «أيا منيّ الإنسان، أنت مصدر كل انبعاث حياة ودنس، أيها اللعاب الذي له رائحة أجساد وقشعريرة بذروة الجمال المدمر والهوس الجنسي، أيها الجسد النابض بالحياة مثلك أود أن يكون تابوتي النهائي كي أتنفس حولي دمك واشتاق إلى الحصول عليك فليكن دركي السفلي وتكليل موتي، ويا متاهة دخان روحي المتشعبة بحشودها النهمة، إلى متى، يا آكل الأرز، يا أرضي، ياصديق الوحل، ستغلق نفسك في العفونة وفي دوامة الانتقام، إلى متى ستمنعني طواعية أن أدوس على تلك البقعة التي بها سأتملك القوة لأعطي لكل الشخوص صوتا، ووجها لكل صوت؟ أيها الصمت الكبير مثل بريق النجوم العميق، أنقذني...» (...)

(...) عقم النساء والازدهار المحموم لخيال الشعب كله، أو الانهيار الحاسم لكرامة الأمة وسلامتها وازدياد عدد المرضى واليائسين الذي كان يحضر في الذهن «مرض الفوضى» أو الآخر:«حيث نوع المرض كان يزداد بازدياد الكلام عنه في كل مرة يواجه فيها الطبيعة البشرية فيزداد شراسة وتحورًا»، مهدوا الطريق لاستقبال حافل لجيوش العدو في العاصمة حيث عاد كل من حاول الهروب نحو أطراف البلاد البعيدة (تُرى من الذي جعلهم يصدقون أن هناك أشياء كتلك؟) بما أن كل الجهات قد انهارت واختفى كل أمل في الهروب من وإلى أي جهة. الجميع، مرضى وعجائز (لأن هذه هي النوعيات التي أصبحت متاحة)، كانوا ينتظرون من العدو كل الخير. بهذا الحجم كان اليأس

والتعتيم والتضليل، الغباء وهوس البلاهة اللذان قد هيمنا حتى الآن متحدين بالتزام مريض على آليات التاريخ المعطلة. لهذا كان مؤكدًا هذه المرة أن الاحتلال سيكون أطول من المقاومة التي بدأت منذ سنوات سحيقة وكانت تغذي بطولات، حواديت، أغاني، ملاحم، روايات، رقصات، ثلاثيات ورباعيات مسرحية، مسرحيات هزلية، دراسات علمية، أفلامًا وأوبرات، التي كانت بدورها تخلد أبطالاً وانتصارات كبيرة. الآن كل هذه الأشياء ذابت في الطين الأسود. (...) أشجار ضخمة متعددة الأغصان وعميقة الجذور أُلقيت في النار. مكاتب التسجيل المدني تم تفجيرها في الهواء. أكبر عمليات السلب والنهب حدثت في المتحف القومي وسجلات الدولة. ثروات أسطورية تمت مصادرتها، اكتُشِفَتْ فواجع وفضائح، في أزمة عقاب الذات. (...) الحياة الجنسية لأربع رؤساء وزارة على الأقل شكلت مادة خامًا لمواضيع أفلام إباحية مؤيَدة بقرائن لايمكن التشكيك بها. شخصيات عامة لم يسعفها الوقت في الهروب إلى خارج البلاد بسرعة، أُجبروا على مغادرة مناصب رفيعة وأن يمثُلوا أمام محاكم شعبية للإعتراف أمام تجمعات الجماهير التي كانت تقتلهم ثم تقتلهم بشهوة انتقام المظلومين. شخصيات جليلة، أعضاء المجلس الكنسي المقدس، أُجبروا إثر جرائمهم التى لم تُعلن إلى انتحارات مدوية (كثيرون قطّعوا أعناقهم أو شربوا سُماً حارقاً أثناء قراءتهم للكتاب المقدس وسط انهمار تصفيق حاد من جماعة الكنيسة للطقس الذي كان يكفر ويعفو عن الذنوب الغريبة التى حملوها من رواسب الكنيسة). (...) أُعيد تصميم مخططات المدن التى هُدمت

على أساساتها وأُعيد بناؤها من البداية. استغلال الثروات الباطنية مر إلى أياد أخرى.
(...) تغير اسم البلاد. والاسم الجديد لا يُذكر من قريب أومن بعيد باسمها القديم... (...)

الاحتلال بالفعل استمر قرونا كثيرة. بالقدر الكافي الذي يتيح اختفاء النزوح التقليدي للبلاد واندماجها في جدول بياني عالمي عريض أصبح يغطي العالم بأسره . بينما في وقت ما وبشكل مُدبر ماتت اللغة لم تُعد مستخدمة وأصبحت مثل إرث قيم من عصور ذهبية قيمته تتساوي مع الأعمال التي كتبت فيها. إنه حجم ثقيل ومتاهي لا يُقاس ويُقدر بعدد لا يُعد ولا يحصى من الصفحات مربوطة إلى دائرة الزمن الصلبة التي تحميها في سلام نور سماوي. في هذه الصفحات يُوصف عُقم النساء في تلك السنة. إنها صفحات من فصل كثير الصفحات وكثير الجرائم، وعنوانها «شهادات من سنة الهزيمة الكبرى» يحتوي على وثائق مختلفة (خطابات، يوميات، روايات شهود عيان، مسرودة بصيغة الراوي أو بصيغة ضمير الغائب وبوصف روائي وأدبي أيضاً، صور فوتوغرافية، إحصاءات، وأشياء من هذا القبيل.) من هذا العصر الذي تخطى منطقة الخيال الشرس، ورغم أنها غير مُختبرة على الإطلاق، لا يجرؤ أحد على فحصها علمياً . يُكتفى بأنها انتهت بشكل مُقنع حيث يزعم المؤرخون أنها تُحقق الشروط العلمية تماماً، مثل موت ما يأتي ليؤكد دقة التنبؤ به، وهذا يكفي كل من يرى في الإنسانية أعجوبة عالمية توفر دوائر أبدية، وهذه الدوائر عندما

تُغلق، تكفي لإثبات حق بارئها، خالقة تعبيرًا سامياً لقدره على الأرض. داخل هذه الدوائر - كما نعلم- الصرخات الفردية لا تُسمع.

(...) "... أكره هذا الوطن. فقد أكل أحشائي. أكتب إليك لأننا معا اشتقنا أن تكون هذه الأحشاء خصبة، وهذا الشوق وحّدَنا ليالي و ليالي ... وفي ساعات أخرى من النهار، حينما كانت تحدث معجزة بشكل مفاجيء وكنا ننسى الرعب الذي يسري في الشوارع وكذلك في عروقنا... نشرات الأخبار الرهيبة التي كانت تعرقل نظر كل منا للآخر... يقرؤها مذيعون في غاية الجنون... الصرخات التي كانت تغطي على صوت سيارت الإسعاف... لم أكن أتصور أبدًا أن الصوت الإنساني يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من العلّو... أن يكون هكذا بلا عمق... أن يسبب كل هذا الذعر عند انطلاقه... على أي حال، لم أعتد أبدًا على الناس لكن هذا يُعد إعاقة أخرى. أنا على عجلة من أمري لأخبرك ببعض الأشياء وهذه الكلمات ستكون أخر الكلمات التي ستصلك مني. أكره هذه البلاد. فقد أكلت أحشائي. أكلتها. أكرهها. نعم، أكرهها. لا تستطيع أي امرأة أن تعيش بهذه الأحشاء. كلما فكرت في الأمر، تأتيني رغبة في تقيؤ نفسي. أشعر أنني قيء. بل إنني قد أكون قيئاً.

المرأة... ليست كوطن يستثمر أطلاله، قبوره... يبيع كل شيء مثل عملاته القومية... فهو يعيش منها. أنا لا أريد أن أكون وطناً. لست وطناً. لا أريد أن أكون هذا الوطن. هذا الوطن مُضاجع الموتى، مُضاجع العجائز، يثار جنسياً برائحة البراز، مثليّ، عاهر، قواد، قاتل. أريد أن أكون الحياة، أريد أن أحيا، سأكون سعيدة الآن لو كان

لدي إرادة العيش... لكن هذه الوطن لا يدعني أريد شيئاً، لا يدعني أكون حياة، أن أعطي حياة، أكل ثدييَّ كالسرطان، عقلي، أمعائي، أنزل الحصى في كليتي ودمرهما، لوث كل المصادر التي كان سينزل منها لبني، جمع كل طينه وترابه في عروقي وعفّن دمي، جلس كله فوق قلبي وهلهله بالنوبات والذبحات، كل مؤسسة له تُعد نوبة قلبية، كل قانون فيه ذبحة صدرية، عاداته تصيب رئتيّ بالعجز، تاريخه يجعلني أرتعش كاملة كما لو أُصبت بالشلل الرعاش، ثقافته دهستني، أنهكتني، لم أعد أحتمل، موقعه الجغرافي ربو على صدري، شكله كله يتمدد أحياناً على جسدي كحزام من القوباء يُصيبني بالجنون، وأحياناً يأخذ شكل جرافة عملاقة ويغوص في عينيّ، إبر ضخمة ويثقب جمجمتي، صخرة كبيرة معلقة في شعري وتجرني في بحر من الدموع المُرة... وأشعر دائماً في عنقي بامتداده ودائما يربط لساني تَلَعْثُمهُ ودائما تصيبني حقارته بقشعريرة عارمة... إخلاصه لأشباحه، متجنبيه، مسوخه، عقوله المعطلة، جثثه، توابيته، جرائمه... هذه الوطن هو وباؤنا. سيميتنا، سينسفنا. كيف يكون الخلاص. إنه يشرب دماءنا، يشربها. لم يعد حتى يدعني أنام، سلب مني النوم. كيف سأعيش بلا نوم؟ لن نعيش... مَنيّ كل رجاله لن يستطيع أن يُحيي أطلال جسدي من حيث تبدأ حياة الإنسانية...

فَرّغتَ حياتك كلها بداخلي وتركتني بلا حياة... وأنت لم تعد قادرًا على شيء. لقحتني لكن لقاحك أبدًا لن يثمر، لا يستطيع لقاحك أن يثمر... لن تخرج من داخلنا حياة أبدًا... تلك الحياة الشمطاء. كنت أود أن تكون أمامي فقط كي أذبحها بيدي. آه، يا إلهي، كم أود أن أقتلها. نجح مجرموها أن يصلوا إلى أرحامنا ويحفروها كالمقابر،

الخنازير، الخنازير، كلهم خنازير، بمن أبدأ وبمن أنتهي، كلهم مجرمون، كلهم، يخلقون بداخلي إحساس بالاحتياج إلى ارتكاب أكبر الجرائم، إلى مذبحة لا نهائية، مذبحة لا نهائية... آآه، كيف نتحمل هذا، كيف لم نصب بالجنون بعد، هذه البلاد الداعرة، هذه المنحطة، هذه المشنقة، المنصوبة... وذبّاحوها الرسميون يلقون الخطب الرسمية في احتفالات رسمية أمام ذباحين رسميين آخرين... كل مورد لها هو دين كبير، كل ركن فيها هو سكين غادر، كل مليمتر فيها هو كمين، مليئة بمصائد الموت والمطاوي الحادة، والسفاحين، النصابين والأغبياء، وكر للشواذ وتجار اللحم الأبيض، تدوس على رؤوسنا في فضلاتها، تركلنا بوحشية في خصانا، إنك تدهسيننا أيتها الغبية، تخنقيننا، تحطميننا، تفصليننا، تغرقيننا، تحكمين علينا، تُميتيننا، لقد أمتينا، يا خنزيرة، يا رخيصة، يا ملوثة، يا جَربة، يا مُسمِمَة، يا حية، يا ذئبة، يا غجرية، يا زانية، كنت كالقردة والببغاء، ياجالبة النحس، يا تعسة، لا أحتملك، لا لم أعد أحتملها، تلك المجرمة، قاتلة الأطفال، الشريرة، الحاقدة، العرجاء، العمياء، الحذاء، العجوز الشمطاء، ذات السنين التعسة، لم أعد أحتمل شيئاً منها، لا شيء، لا شيء، أكرهها، أكرهها، أكرهها، آآآآه، أكرهها، أكرهها، أكرهها، أكرهها، لن أموت، أيها الوطن المتوحش، و سأظل أكرهك، نعم، أضع الكره بداخلي، أريد أن أكتب أناشيد مغايرة غير التي كُتبت حتى الآن فيك، وأطلق الرصاص على الكلمات كالكلب كلمة كلمة وألقى بها بيديي هاتين... لست امرأة بعد... ولست رجلاً بعد... أخذ منا كل شيء... ماذا سيبقى له بدوننا؟ ماذا سيصبح هذا

الوطن عندما لن يبقى منا شيء؟... ترابه أخذ شكلي... جسدي أخذ أبعاده... بداخلى قدره...

أموت

أموت كوطن (...)

خالد رؤوف

مترجم مصري

درس اللغة اليونانية وآدابها في جامعة أثينا، ويحمل دبلومًا في الترجمة من جامعة أثينا وكلية الاتحاد الهيليني الأميركي. حاز على جائزة الإنجاز مدى الحياة في الترجمة من مؤسسة حمد للثقافة والتفاهم الإنساني القطرية، وجائزة مماثلة من جمعية المترجمين اليونانيين.

يحمل بكالوريوس في التاريخ والآثار من جامعة أثينا، ودبلومًا في الدراما من المدرسة الوطنية للمسرح في أثينا، كما حصل على ماجستير ودكتوراه في تاريخ الفن الكلاسيكي (اليوناني/الروماني) من جامعة شيكاغو. يعمل في المجال الأكاديمي، ويُدرّس الترجمة الأدبية في الجامعة الأيونية باليونان.

شغل سابقاً منصب نائب مدير المؤسسة الهيلينية للثقافة بالإسكندرية، ومنسقاً للأنشطة الثقافية والتعليمية فيها، كما عمل مستشاراً لوزارتي الثقافة في كلّ من اليونان ومصر، إضافة لمؤسسات ثقافية عربية مختلفة.

ترجم ونشر حتى الآن حوالي أربعين عنواناً في الأدب اليوناني

والإنجليزي، منها:

• ريتسوس، يانيس (2009) جيران العالم. مختارات شعرية (الإسكندرية: جدار للثقافة والنشر).

• كازانتزاكيس، نيكوس (2013) أليكسيس زوربا: سيرته وحياته (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• ذيميترياذيس، ذيميتريس (2013) أموت كوطن. رواية (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• ذيميترياذيس، ذيميتريس (2013) التحول. رواية (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• غريغورياذيس، ثيوذوروس (2016) العزى، ألف عاشق وعاشق. روايتان (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• تسيركاس، ستراتيس (2016) ثلاثية مدن جامحة [آريان (الجزء الثاني)، الخفاش (الجزء الثالث). (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• مارانجو، نيكي (2013) يزول. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).

• بوليتيس، كوزماس (2016) إيرويكا. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).

• كوموتسي، بيرسا (2016) نزهة مع نجيب محفوظ. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).

• كوموتسي، بيرسا (2022) أصوات سكندرية. رواية (القاهرة: صفصافة للنشر).

• قصائد مستوحاة من شعر كفافيس (2013) مختارات شعرية. من العربية إلى اليونانية (أثينا- الإسكندرية: لمؤسسة اليونانية للثقافة).

• كافاذياس، نيكوس (2015) قصائد لشاعر الحب والبحر. مختارات شعرية (القاهرة: صفصافة).

• يوانيذيس، بانوس (2017) غواب. رواية (القاهرة: صفصافة).

• ثيوذورو، إيفغينيا (2017) طعم الصحراء. رواية (القاهرة: صفصافة).

- سوتاكيس، ذيميتريس (2025) معجزة التنفس. رواية (القاهرة: صفصافة).
- سوتاكيس، ذيميتريس (2022) قيامة مايكل جاكسون. رواية (القاهرة: صفصافة).
- ستامو، إيفا (2023) الرحلة. رواية (القاهرة: صفصافة).
- يوانيذيس، بانوس (2023) أمريكا 62 من الأعماق. رواية (القاهرة: صفصافة).
- ديلاخانيس، أنجلوس (2019) جالية جامحة (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- إنيجيو، كين (بدون تاريخ) اتجاهات المسرح الأفريقي: المسرح والعرض المسرحي الأفريقي (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- كامبانيليس، ياكوفوس (2024) فناء المعجزات. مسرح (القاهرة: جسور للنشر والتوزيع).
- ساماركيس، أنتونيس (2024) صناعة يدوية. قصص فصيرة (القاهرة: جسور للنشر والتوزيع).
- كسيناكيس، ستيفانوس (2022) الهدية. رواية (القاهرة: دار العربي).
- كوكيناكيس، سبيروس (2022) مختارات شعرية (القاهرة: صفصافة).
- كوكيناكيس، سبيروس (2024) يغلق عينيه فيولد العالم. رواية شعرية (القاهرة: صفصافة).

NOVEL

رواية صادمة، لاهثة، متمرّدة على الأنساق، تُقدّم نبوءة مروّعة عن وطن يأكل أبناءه ويشيخ في عقر ذاكرته. ببلاغة مجازية دامغة ولغة تنوس بين الشعرية والسوقية والتهكم الميتافيزيقي، يكتب ذيميترياذيس نصًا لا يُشبه الرواية التقليدية بل يهدم شكلها ليبني سردًا كارثيًا عن انهيار أمة من الداخل. الوطن هنا ليس أرضاً بل كائن حيّ، ينزف، يعقم، ويصرخ في مونولوج طويل عبر امرأة تنطق باسم الجميع: «أريد أن أعيش!».

«أموت كوطن» رواية تستبطن التاريخ كبنية متهالكة، والجسد كمسرح للعنف، والرغبة كقوة خلاقة مغدورة. لا شخصيات بطولية، لا نهاية مغلقة، بل دمار يعقبه التماس أمل جديد من رحم الهزيمة. ترجمة خالد رؤوف تحمل النص إلى العربية بدقّة وشغف، مؤكدًا على أن ما كُتب عن اليونان هو مرآة للعالم العربي، والإنسان في كل مكان.

نصٌّ يُقرأ كأنك تمشي على حافة بركان، وتدرك أن كل ما فيه من جنون ليس إلا استعارة للحياة نفسها.

النص لا يصف حدثًا سياسيًا، بل تفككًا شاملًا لكل ما نعرفه: الدولة، الجسد، اللغة، الخصوبة، وحتى الهوية.

DIMITRIS DIMITRIADIS

TO DIE AS A HOMELAND

Translated from Greek by Khaled Raouf

9 781326 386238

Jidar
Culture & Publishing